تفسير العشر الأخير

من القرآن الكريم

من كتاب زبدة التفسير

ويليه

أحكام تهم المسلم

يرجم إلى أكثر من ٤٠ لغة

مُقدّمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا وحبيبنا رسول الله ، أما بعد :

اعلم أخي المسلم وأختي المسلمة - رحمكم الله - أنه يجبُ علينا تعلّمُ أربع مسائل :

* الأوّل: **العلم :** وهو معرفة الله ﷻ ، ومعرفة نبيه ﷺ ، ومعرفة دين الإسلام ، لأنه لا يجوز أن يُعبد الله بلا علم ، ومن فعل ذلك فمصيره إلى الضلال ، وقد شابه النصارى في ذلك .

* الثّاني: **العمل :** ومَنْ عَلِمَ ولم يعمل فقد شابه اليهود ، لأنهم علموا ولم يعملوا ، ومن حِيَل الشيطان أنه يُنَفِّر من العلم مُوهِمًا الإنسانَ أنّه معذورٌ حينئذٍ عند الله بجهله ، وما عَلِمَ أن من أمكَنَه التعلّم ولم يفعل فقد قامت عليه الحجة ، وهذه حِيلة قوم نوح حينَ : ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ كي لا تقوم عليهم الحجة.

* الثّالث: **الدعوة إليه :** لأن العلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء ، وقد لعن الله ﷻ بني إسرائيل لأنهم : ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ، والدعوة والتّعليم فرض كفاية ، إن قام به من يكفي لم يأثم أحد ، وإن تركه الجميع أثموا .

* الرّابع: **الصبر على الأذى :** في تعلّم العلم ، والعمل به ، والدّعوة إليه .

ومشاركة منّا في رفع الجهل ، وتسهيلاً لطلب العلم ، جمعنا في هذا الكتاب المختصر بعض ما تحصل به الكفاية من العلوم الشرعية ، مع الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم وتفسيرها ، لغلبة تكرارها ، و (ما لا يدرك كلّه لا يترك جُلّه) .

وحَرِصنَا في ذلك كلّه على الاختصار ، و بما صحّ عن النبي ﷺ ، ولا نزعُم أننا بلغنا الكمال ، فإنه مما اختصّه الله ﷻ لنفسه ، ولكنّه جُهد المُقِلّ ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأً فمن أنفسنا والشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا بالنقد الهادف البنّاء .

نسأل الله أن يجزي كلّ من شارك في إعداده وطباعته وتوزيعه وقراءته وتعليمه خير الجزاء ، وأن يتقبّله منهم ، ويضاعف لهم الأجر والمثوبة .

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

زكّى هذا الكتاب مجموعة من العلماء وطلبة العلم في العالم الإسلامي
لمزيد من المعلومات ، أو للتبرّع ، أو للمشاركة ، أو لطلب الكتاب الموقع www.tafseer.info البريد / info@tafseer.info
الطبعة السابعة عشرة / مزيدة و منقحة

فضائل القرآن

◈ القرآن كلام الله، وفضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وقراءته أفضل ما تحرك به اللسان.

◄ من فضائل تعلم القرآن وتعليمه وقراءته :

أجر تعليمه	قال ﷺ :«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» البخاري. «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ»
أجر قراءته	قال ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا » الترمذي.
	◈ قال ابن رجب رحمه الله: فمضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنات، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. وأما زيادة المضاعفة على العشر فهي لمن شاء الله أن يضاعف له. اهـ وقد تصل الزيادة إلى سبعمائة ضعف وأكثر، وسبب ذلك بعد فضل الله خشوع القلب والتدبر والفهم ونحوه.
فضيلة تعلم القرآن وحفظه والمهارة بقراءته	قَالَ ﷺ: « مَثَلُ الذِيْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلِ الذِيْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيْدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ » متفق عليه (والسفرة:الملائكة). وقال ﷺ: « يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ:اقْرَأْ وارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنيا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» الترمذي.
	◈ قال الخطابي رحمه الله: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر دَرَج الجنة، فيقال للقارئ: ارقَ في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن؛ استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جُزءًا منه كان رقيّهُ في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. اهـ
أجر من تعلّم وَلَدُه القرآن	قال ﷺ: « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلبِسَ وَالِدَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُوْرٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يَقُوْمُ لَهُمَا الدُّنيا، فَيَقُوْلانِ: بِمَ كُسِيْنَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ » الحاكم.
شفاعة القرآن لصاحبه في الآخرة	قال ﷺ : « اقْرَءُوْا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيْعًا لأَصْحَابِهِ » مسلم. وقال ﷺ: « الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ.... » أحمد والحاكم.
أجر الاجتماع لتلاوته وتدارسه	قال ﷺ: « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوْتِ اللهِ تَعَالَى يَتْلُوْنَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ ». مسلم

◄ من أحكام القراءة :

آداب القراءة	**ذكر ابن كثير آدابًا منها:** أن لا يمسَّ القرآن ولا يقرأه إلا وهو طاهر، وأن يستاك قبل تلاوته، وأن يلبس أحسن لباسه، وأن يستقبل القبلة، وأن يمسك عن القراءة إذا تثاءب، وألاّ يقطع القراءة بكلام إلا لحاجة، وأن يكون حاضر الذهن، وأن يقف على آية الوعد فيسأل وآية الوعيد فيستعيذ، وألاّ يضع المصحف منشورًا ولا يضع فوقه شيئًا، وألاّ يجهر القراء بعضهم على بعض في القراءة، وألاّ يقرأ في الأسواق وأماكن اللغط.
كيفيّة القراءة	• قراءة القرآن والذكر في الصلاة وغيرها لا يُعتدُّ به حتى يتلفّظ به بحيث يُسمع نفسه، دون تشويش على غيره. • ينبغي أن يتمهّل في قراءته. سُئِل أنس رضي الله عنه عن قراءة النبي ﷺ فقال: « كَانَ يَمُدُّ مَدًّا، إِذَا قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ؛ يَمُدُّ بِسْمِ اللهِ، ويَمُدُّ الرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ الرَّحِيْمِ » البخاري
مقدارها	كان أصحاب النبي ﷺ يجعلون لأنفسهم نصيبًا من القرآن كل يوم، ولم يداوم أحدٌ منهم على ختمه في أقلّ من سبعة أيام، بل ورد النهي عن ختمه في أقل من ثلاثة أيام.
القراءة حفظًا	إذا كان القارئ للقرآن من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استَوَيَا فمن المصحف أفضل.

◄ **وصيّة: احرص أخي على قضاء وقتك في قراءة القرآن**، واجعل لنفسك قدرًا يوميًا لا تتركه مهما كان الأمر، وقليل دائم خير من كثير منقطع. فإن غفلت أو نمت فاقضه من الغد. قال ﷺ: « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » مسلم، ولا تكن ممّن هجر القرآن ونسيهُ بأي نوع كان، كهجر **قراءته، أو ترتيله، أو تدبّره، أو العمل به، أو الاستشفاء به.**

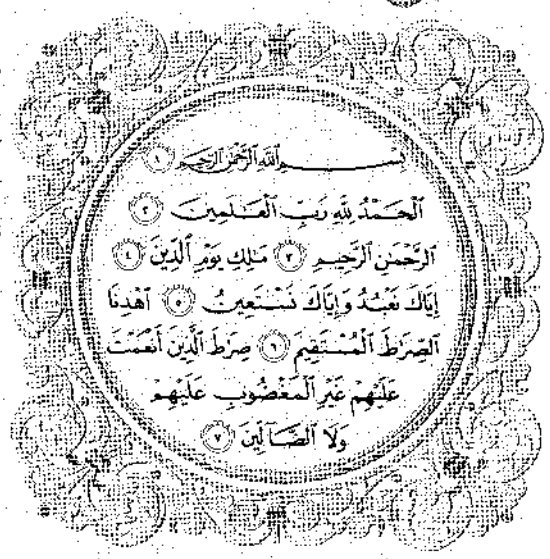

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

سُمِّيت هذه السورة " **فاتحة الكتاب** " **لكون القرآن أُفتتح بها**، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز، وهي ليست أول ما نزل من القرآن، قيل: هي مكية، وقيل: مدنية، **وتسمَّى فاتحة الكتاب، وتسمى أم الكتاب، والسبع المثاني، وسورة الحمد، وسورة الصلاة ، والواقية، وقد ورد في فضلها أحاديث ، منها أن** رسول الله ﷺ قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ » البخاري وأحمد.

(١) ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ليست البسملة آية في بداية جميع سور القرآن؛ **بل هي آية فاصلة** بين كل سورتين، ويستحب قراءتها إلا في سورة التوبة؛ فيكره.

﴿ اللَّهِ ﴾ علم لم يطلق على غيره تعالى، وأصله: "الإلَه"، وكان قبل الحذف يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق

﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، **والرحمن لم يستعمل لغير الله** ﷻ.

(٢) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ **الحمد**: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، **والحمد يكون باللسان فقط، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء، و يكون الشكر مقابل نعمة، أما الحمد فيكون لكمال المحمود ولو في غير مقابلة نعمة،** والله تعالى له الحمد والشكر ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ **الرب:** اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا مضافًا، كقولك: هذا الرجل رب المنزل، والرب المالك، والرب السيد، والرب المصلح والمدبّر، والرب المعبود، **والعالَمون**: جمع العالَم، وهو كل موجودٍ سوى الله تعالى، **والعالم** عبارة عمن يعقل، وهو أربع أمم: الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين.

(٣) ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ولما كان في اتصافه سبحانه وتعالى برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم، لما تضمّن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعْوَن على طاعته.

(٤) ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بفعله وذاته ﷻ، ويوم الدين: يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده، عن قتادة قال: **يوم الدين** يوم يدين الله العباد بأعمالهم؛ أي: يجازيهم بها.

(٥) ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ نخُصُّك بالعبادة ونخُصُّك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، **والعبادة:** أقصى غايات الخضوع والتذلل، **وفي الشرع**: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، **وقُدِّمت العبادة على الاستعانة لكون الأُولى وسيلة إلى الثانية**، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يعني: إياك نوحد ونخاف يا ربَّنا لا غيرَك، وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

(٦) ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ **الهداية نوعان: هداية توفيق:** وهي خاصة بالله تعالى، ومنها قوله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾، والثانية: **هداية دلالة وإرشاد:** وهي للأنبياء وأتباعهم من العلماء والدعاة، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ والآية تدل على النوعين لأن الله هو الموفق للخير، وهو الذي أرسل الرسل ليدلونا عليه، **والصراط المستقيم لغةً:** الطريق الذي لا اعوجاج فيه، والمراد: طريق الإسلام.

(٧) ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ هم المذكورون في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ **هم اليهود:** وذلك لأنهم علموا الحق فتركوه وحادوا عنه على علم، فاستحقوا غضب الله، أخرج أحمد وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: « مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ ». ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ **هم النصارى:** لأن النصارى حادوا عن الحق جهلاً؛ فكانوا على ضلال مبين في شأن عيسى عليه السلام، ومعنى آمين: اللَّهُمَّ استجب لنا.

سُورَةُ المُجَادِلَة

(١) ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أي: تُراجعك الكلام في شأنه ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام **خولة بنت ثعلبة**، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكَلَ شبابي، ونثَرْتُ له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهُمَّ إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ **وهو أوس بن الصامت أحد الأنصار** ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: ما تتراجعان به من الكلام.

(٢) ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ معنى **الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليّ كظهر أمي**، ولا خلاف في كون هذا ظهارًا ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي: ما نساؤهم بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: ليست أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرًا من القول، أي: فظيعًا ينكره الشرع، وهو تشبيهه زوجته التي يطؤها بأمه، وفي هذا أشد الإهانة لأمه، والزور: الكذب ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: بليغ العفو والمغفرة، إذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا المنكر.

(٣) ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعودون لما كانوا عليه من إرادة الجماع ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعليهم تحرير رقبة، أي: أمة أو عبد مملوك، من أجل ما قالوا ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ المراد بالتماس: الجماع، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفِّر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحكم المذكور ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تؤمرون به، أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار.

(٤) ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ أي: فمن لم يجد الرقبة في ملكه، ولا تمكن من قيمتها، أو لَمْ يجد رقبة يشتريها فعليه **صيام شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيهما، فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر**، فلو جامعها ليلاً أو نهارًا عمدًا استأنف ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ يعني: صيام شهرين متتابعين ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل **مسكين نصف صاع من برٍّ أو تمرٍ أو أرزٍ أو نحوها**، وله أن يطعمهم طعامًا جاهزًا حتى يشبعوا، أو يدفع إليهم ما يشبعهم ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: حكمنا بذلك لتصدقوا أن الله أمر به وشرعه، وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدّوها، ولا تعودوا إلى الظهار الذي هو منكر من القول وزورًا ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ فلا تجاوزوا حدوده التي حدَّها لكم، فإنه قد بيَّن لكم أن الظهار معصية، وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ الذين لا يقفون عند حدود الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو عذاب جهنم.

(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ **المحادّة: المشاقّة والمعاداة والمخالفة.** ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أُذِلُّوا وأُخزوا.

(٦) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين في حالة واحدة لا يبقى منهم أحد لم يبعث ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا من الأعمال القبيحة، لتكميل الحجة عليهم ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحصاه الله جميعًا ولم يغب عنه شيء، ﴿وَنَسُوهُ﴾ هم ولم يحفظوه، فوجدوه حاضرًا مكتوبًا في صحائفهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع وناظر.

سُورَةُ المُجَادِلَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أن علمه محيط بما فيهما، بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ ما يوجد من تناجي رجال ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ في الاطلاع على تلك النجوى ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ لأنه سبحانه مع كل عدد، قلَّ أو كثُر، يعلم السر والجهر، لا تخفى عليه خافية ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ أي: ولا أقل من العدد المذكور؛ كالواحد، والاثنين، ولا أكثر منه؛ كالستة والسبعة ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه منه شيء ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ في أي مكان من الأمكنة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ أي: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ليعلموا أن نجواهم لم تكن عليه خافية، **وليكون إعلامه لمن يتناجون بالسوء توبيخًا لهم وتبكيتًا وإلزامًا للحجة.**

﴿٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ **كان اليهود إذا مرّ بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظنّ المؤمن شرًّا، فنهاهم الله فلم ينتهوا، فنزلت:** ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ﴾ أي: بغيبة المؤمنين وأذاهم ونحو ذلك، كالكذب والظلم ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ ما يكون فيه عدوان على المؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ مخالفته ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ المراد بها: اليهود، كانوا يأتون النبي ﷺ **فيقولون: السام عليك، يريدون السلام ظاهرًا، وهم يعنون الموت باطنًا،** فيقول النبي ﷺ: "وعليكم" ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يقولون: لو كان محمد نبيًا لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، وقيل: المعنى لو كان نبيًا لاستجيب له فينا، حيث يقول: عليكم، ولَوقع علينا الموت عند ذلك ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم عذابها عن الموت الحاضر ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع، وهو جهنم.

﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كما يفعله اليهود والمنافقون ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: بالطاعة وترك المعصية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ يعني: بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لا من غيره، أي: من تزيينه وتسويله ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: لأجل أن يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها في مكيدة يكادون بها ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ أي: وليس الشيطان، أو التناجي الذي يزينه الشيطان، بضارّ المؤمنين شيئًا من الضرر ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يكلون أمرهم إليه، ويفوّضونه في جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ"

﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ **أمرهم الله سبحانه بحسن الأدب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه،** قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأُمِروا أن يفسح بعضهم لبعض: ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: **فوسِّعوا يوسع الله لكم في الجنة،** وهي عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواءٌ كان مجلس حرب أو ذكر أو خطبة الجمعة، وكل واحدٍ أحق بمكانه الذي سبق إليه، ولكن يوسع لأخيه، قال ﷺ: "لا يُقِيم الرجلُ الرجلَ من مجلسِهِ ثمَّ يجلسُ فيهِ، ولَكِنْ تَفسَّحُوا وتَوسّعوا" ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ أي: إذا طلب من بعض الجالسين في المجلس أن ينهضوا من أماكنهم ليجلس فيها أهل الفضل في

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

الدين، وأهل العلم بالله فليقوموا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة، **فمن جمع الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، ومن جملة ذلك رفعه في المجالس.**

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ أي: إذا أردتم مسارَرَة الرسول ﷺ في أمر من أموركم فقدموا قبل مسارَرتكم له صدقة، تتصدقوا بها، فلما أنزل الله هذه الآية انتهى أهل الباطل عن مناجاة النبي ﷺ لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة، ثم خفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديم الصدقة بين يدي النجوى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لما فيه من طاعة الله ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: من كان منهم لا يجد تلك الصدقة فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة.

﴿١٣﴾ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ أي: أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك؟ قال مقاتل: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى لثقلها عليكم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم في الترك ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ والمعنى: إذا وقع منكم التثاقل عن تقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهو مجازيكم.

﴿١٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ أي: والَوهم؛ هم المنافقون تولوا اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ المغضوب عليهم: هم اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ كما قال الله فيهم ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ويحتمل أنهم اليهود، أي يقول للمؤمنين: ليس اليهود منكم ولا من المنافقين، فلماذا لا يتولاهم المنافقون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي: يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار إلى اليهود ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون بطلان ما حلفوا عليه، وأنه كذب لا حقيقة له.

﴿١٥﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ **بسبب هذا التولي والحلف على الباطل** ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال القبيحة.

﴿١٦﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين، توقيًا من القتل بالكفر، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، ولم تؤمن قلوبهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: يهينهم ويخزيهم.

﴿١٨﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي: يحلفون لله يوم القيامة على الكذب، كما يحلفون لكم في الدنيا، فيقولون: والله ربنا ما فعلنا ذلك، وهذا من شدّة شقاوتهم، فإن الحقائق يوم القيامة قد انكشفت، وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: يحسبون في الآخرة أنهم بتلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب نفعًا، أو يدفع ضررًا، كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا.

﴿١٩﴾ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: غلب عليهم واستعلى واستولى وأحاط بهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: فتركوا أوامره والعمل بطاعاته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: جنوده وأتباعه ورهطه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا الجنة بالنار، والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه، فسوف يخسرون في الدنيا والآخرة.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

﴿٢٠﴾ ﴿الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تقدم معنى المحادة لله ولرسوله في أوّل هذه السورة ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ من جملة من أذله الله من الأمم في الدنيا والآخرة.

﴿٢١﴾ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: قضى في سابق علمه؛ لأغلبنّ أنا ورسلي بالحجة والقدرة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ قويٌّ على نصر أوليائه، غالب لأعدائه لا يغلبه أحد.

﴿٢٢﴾ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ **يوادّون: يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما** ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: ولو كان المحادّون لله ورسوله آباء الموادّين إلخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوّة والبنوّة والأخوّة والعشيرة، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني: الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أثبته، وقيل: جعله، وقيل: جمعه ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: قوّاهم بنصر منه على عدوّهم في الدنيا، **وسمى نصره لهم روحًا لأن به يحيا أمرهم** ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على الأبد ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: قبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: فرحوا بما أعطاهم الله عاجلاً وآجلاً ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي: جنده الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم: **جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتقصَّد لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قَصَدَهُ أبو عبيدة فقتله، فنزلت هذه الآية.**

سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ **هم بنو النضير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون**، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل، فغدروا بالنبيّ ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء، قال الكلبي: **كانوا أوّل من أُجْلِي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أُجلي آخرهم في زمن عمر**، فكان جلاؤهم أوّل حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم لعزتهم ومنعتهم، وكانوا أهل حصون مانعة، وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: وظنّ بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: أتاهم أمر الله من جهة لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره منها، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم، وكانوا لا يظنون أن الأمر يصل إلى ذلك، بل كانوا عند أنفسهم أعز وأقوى ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الرعب: أشد الخوف، قال ﷺ: **"نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ"** ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم **لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم، فجعلوا يخربونها من داخل، والمسلمون من خارج**، قال الزهري وعروة بن الزبير: لما صالحهم النبيّ ﷺ على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا يستحسنون الخشبة أو العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: **اعلموا أن الله يفعل مثل ذلك بمن غدر وحادّ الله.**

﴿٣﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على الوجه، وقضى به عليهم، لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

﴿٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: بسبب عداوتهم لله ورسوله ونقضهم العهد استحقوا العقاب.

﴿٥﴾ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أخذ بعض المسلمين في معركة بني النضير يقطع نخيل الكفار لإغاظتهم، فقال بنو النضير وهم أهل كتاب: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح؟ أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ ووجد المسلمون في أنفسهم، فنزلت الآية: ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: ليذل الخارجين عن الطاعة؛ وهم اليهود، ويغيظهم في قطعها وتركها، فإنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا ازدادوا غيظًا وخزيًا.

﴿٦﴾ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ **الإيجاف: إسراع الراكب فرسه**، أي أن ما ردّه الله تعالى على رسوله من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، ولا تجشمتم لها مشقة، ولا لقيتم بها حربًا، وإنما كانت من المدينة على ميلين، فجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسوله ﷺ خاصة لهذا السبب، **فإنه افتتحها صلحًا وأخذ أموالها، ولم يقسمها بين الغانمين.**

﴿٧﴾ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ هذا بيان لمصارف الفيء بعد البيان أنه لرسول الله ﷺ خاصة، وهو حكم كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ والمسلمون بعده إلى يوم القيامة صلحًا بغير قتال، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب ﴿فَلِلَّهِ﴾ يحكم فيها بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ يكون ملكًا له، ثم في مصالح المسلمين ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بنو هاشم وبنو المطلب، أي: لفقرائهم؛ لأنهم قد مُنِعوا من الصدقة، فجعل لهم حقًا في الفيء ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الصغار الذين مات آباؤهم قبل مرحلة البلوغ ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الفقراء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ **الغريب الذي نفدت نفقته** ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ فيغلب الأغنياء الفقراء، فيتداولوه بينهم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ أي: ما أعطاكم من مال الفيء فخذوه، وما نهاكم عن أخذه فانتهوا عنه ولا تأخذوه.

﴿٨﴾ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ من مكة، اضطروهم إلى الخروج منها فخرجوا، فجعل لهم في الفيء حقًا ليغنيهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بالجهاد للكفار ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: الراسخون في الصدق.

﴿٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار سكنوا المدينة قبل المهاجرين، وآمنوا بالله ورسوله ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدًا أو غيظًا أو حزازة ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك، وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم النبي ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال ﷺ: " **إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة في أموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم** "، فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم. لكن هذا حديث لم يذكر الشوكاني من أخرجه، وفي سيرة ابن هشام قال: إن النبي ﷺ قسم غنائم بني النضير ولم يعطي الأنصار شيئاً. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة وفقر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: من كفاه الله حرص نفسه وبخلها فأدّى ما أوجبه الشرع عليه في مال من زكاة أو حق فقد فاز ونجح، ولم يفز من بخل بذلك وشحت به نفسه.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ الذين يحبون السابقين من المهاجرين والأنصار ويستغفرون لهم، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: غشًا وبغضًا وحسدًا، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوليًا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن وَجَدَ في قلبه لهم غلاً؛ كالرافضة، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وليس له في الفيء حق، وكذلك من سبّهم أو آذاهم أو تنقصهم.

﴿١١﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه، بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ ﴾ أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ ﴾ أي: في شأنكم، ومن أجلكم ﴿أَحَدًا ﴾ ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم ﴿أَبَدٗا ﴾ وإن طال الزمان ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ ﴾ على عدوكم، ثم كذبهم سبحانه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم.

﴿١٢﴾ ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ ﴾ وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قتلوا من اليهود، وهم بنو قريظة وأهل خيبر ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم.

﴿١٣﴾ ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لأنتم يا معاشر المسلمين أشد خوفًا وخشية في صدور المنافقين، أو صدور اليهود، من رهبة الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ ولو كان لهم فقهٌ لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم، فهو أحق بالرهبة منكم.

﴿١٤﴾ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين لقتالكم ﴿إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ أي: في الدروب والدور ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ ﴾ أي: من خلف الحيطان التي يسترون بها لجبنهم ورهبتهم ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ ﴾ أي: بعضهم غليظ فظ على بعض ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ ﴾ أي: إن اجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع تخالف قلوبهم في الباطن، مختلفة آراؤهم وأهواؤهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ ولو عقلوا لعرفوا الحقّ واتبعوه فتوحدوا ولم يختلفوا.

﴿١٥﴾ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ من كفار المشركين ﴿قَرِيبٗا ﴾ يعني: في زمن قريب ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾ أي: سوء عاقبة كفرهم، في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر.

﴿١٦﴾ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ ﴾ أي: مَثَلهم في تخاذلهم وعدم تناصرهم، كمثل الشيطان للإنسان، أغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ ﴾ أي: فلما كفر الإنسان مطاوعةً للشيطان وقبولاً لتزيينه، قال الشيطان: إني بريء منك ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ هذا من قول الشيطان على وجه التبري من الإنسان.

(١٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه ﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ أي: لتنظر أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة.

(١٩) ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: تركوا أمره، ولم يبالوا بطاعته ﴿ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي: جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، وقيل: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله.

(٢٠) ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ أي: الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

(٢١) ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب؛ أنه لو أُنزل على جبل من الجبال لرأيته [مع كونه في غاية القسوة وشدّة الصلابة وضخامة الجرم] متشققًا من خشية الله، حذرًا من عقابه، وخوفًا من أن لا يؤدّي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر.

(٢٢) ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: هو عالم ما غاب عن الإحساس، وأما ما حضر فهو مرئي بالعيون.

(٢٣) ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كرره للتأكيد والتقرير ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ أي: الطاهر من كل عيب المنزّه عن كل نقص، وقيل: معناه الذي سلم الخلق من ظلمه ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ ﴾ أي: الذي وهب لعباده الأمن من الظلم، وقيل: المصدق لرسله بإظهار المعجزات، ﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ أي: الشهيد على عباده بأعمالهم، الرقيب عليهم ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ القاهر الغالب غير المغلوب ﴿ ٱلۡجَبَّارُ ﴾ جبروت الله عظمته، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته ﴿ ٱلۡمُتَكَبِّرُ ﴾ أي: الذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به، والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذمّ.

(٢٤) ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ﴾ أي: المقدّر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته ﴿ ٱلۡبَارِئُ ﴾ أي: المنشئ المخترع للأشياء الموجد لها ﴿ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ أي: الموجد للصور المركّب لها على هيئات مختلفة ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (١٩) لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ (٢٠) لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٤)

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

سورة الممتحنة

(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبيّ ﷺ إليهم، في غزوة فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، والآية تدلّ على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه ﴿ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ أي: توصلون إليهم أخبار النبيّ بسبب المودة التي بينكم وبينهم ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ أي: كفروا بالله والرسول وما جاءكم به من القرآن والهداية الإلهية ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ أي: أخرجوه وإياكم من مكة، لكفرهم بما جاءكم من الحق، فكيف توادّونهم؟ ﴿ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾ أي: يخرجونكم بسبب إيمانكم بالله، أو كراهة أن تؤمنوا ﴿ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ ﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ أي: تسرّون إليهم الأخبار بسبب المودة ﴿ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ ﴾ أي: أعلم من كل أحد بما

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

تفعلونه من إرسال الأخبار إليهم ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق والصواب، وضلّ عن قصد السبيل.

﴿٢﴾ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ إنهم إن يلقوكم ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: يمدّوا إليكم أيديهم بالضرب ونحوه، وألسنتهم بالشتم ونحوه ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ تمنوا ارتدادكم ورجوعكم إلى الكفر.

﴿٣﴾ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ إن أولادكم وأقاربكم لن ينفعوكم يوم القيامة حتى توالوا الكفار لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب، بل الذي ينفعكم هو ما أمركم الله به من معاداة الكفار وجهادهم وترك موالاتهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار.

﴿٤﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: خصلة حميدة تقتدون بها ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يقول: أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم، فتتبرأ من أهلك كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ أي: بريئون منكم، فلسنا منكم ولستم منا، لكفركم بالله ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم، أو بأفعالكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ أي: هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فإذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة، والبغضاء محبة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: قد كانت لكم أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا قوله لأبيه، فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: وما أدفع عنك من عذاب الله شيئًا.

﴿٥﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك؛ فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا.

﴿٦﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: لقد كان لكم في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ أي: أن هذه الأسوة إنما تكون لمن يطمع في الخير من الله في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه.

﴿٧﴾ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ بينكم وبين مشركي مكة، وذلك بأن يسلموا فيصيروا من أهل دينكم، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدّمهم في الإسلام مودّة، وجاهدوا وفعلوا الأفعال المقرّبة إلى الله، وقد تزوّج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، ولم تحصل المودّة معه إلا بعد إسلامه يوم الفتح، وترك أبو سفيان العداوة لرسول الله ﷺ، عن أبي هريرة قال: أوّل من قاتل أهلَ الردّة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ بليغ القدرة قادر على أن يقبل بقلوب المعاندين ليدخلهم في مغفرته ورحمته.

﴿٨﴾ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكم عن هؤلاء ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تفعلوا معهم ما هو من البرّ؛ كصلة الرحم ونفع الجار والضيافة ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ وتعدلوا فيما بينكم وبينهم بأداء ما لهم من الحق؛ كالوفاء لهم بالوعد وأداء الأمانة وأداء أثمان ما تشترونه منهم كاملة غير منقوصة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين، والمعنى: إن الله سبحانه لا ينهى عن برّ أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ وهم صناديد الكفر من قريش وأشباههم ممن هم حرب على المسلمين ﴿وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي: عاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم على ذلك، وهم سائر أهل مكة، ومن دخل معهم في عهدهم ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: أن تتخذوهم أولياء وتناصروهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم تولوا من يستحق العداوة، لكونه عدوًّا لله ولرسوله ولكتابه.

﴿١٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ من بين الكفار، وذلك أن النبي ﷺ لما صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يردّ عليهم من جاءهم مسلمًا، فلما هاجرن إليه النساء أبى الله أن يُردددن إلى المشركين، وأمر بامتحانهنّ ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهنّ، لتعلموا مدى رغبتهنّ في الإسلام، فقد كن يُستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج، ولا رغبةٍ من أرضٍ إلى أرض، ولا التماس دنيا، بل حبًا لله ولرسوله ورغبة في دينه، فإذا حلفت على ذلك أعطى النبي ﷺ لزوجها مهرها وما أنفقه عليها، ولم يردّها إليه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ لبيان أن حقيقة حالهنّ لا يعلمها إلا الله سبحانه، ولم يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهنّ حتى يظهر لكم ما يدلّ على صدق دعواهنّ في الرغبة في الإسلام ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى أزواجهنّ الكافرين ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فالمؤمنة لا تحلّ لكافر، وإسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها، لا مجرّد هجرتها ﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾ وأعطوا أزواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن مثل ما أنفقوا عليهنّ من المهور، قال الشافعي: وإذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها بلا عوض ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: بعد العدة، لأنهنّ قد صرن من أهل دينكم ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهنّ، وذلك بعد انقضاء عدّتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ والمعنى: إن من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين، وكان الكفار يزوجون المسلمين، والمسلمون يتزوجون المشركات، ثم نُسخ ذلك بهذه الآية، وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا مهور نسائكم إذا ارتددن ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ قال المفسرون: كان من ذهب من المسلمات مرتدّة إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاءت امرأة من الكفار إلى المسلمين وأسلمت: ردّوا مهرها على زوجها الكافر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: إرجاع المهور من الجهتين ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ أي: مع المشركين بعد صلح الحديبية بخلاف المشركين الذين لا عهد لهم، وقد نُسِخَ هذا، قال القرطبي: وكان هذا مخصوصًا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة، أي ما يتعلق برد المهور، لا التفريق بين الزوجين إذا أسلم أحدهما.

﴿١١﴾ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ بأن ارتدت المسلمة فرجعت إلى دار الكفر ولو أهل الكتاب ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ أمروا أن يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل مهورهن من الفيء والغنيمة إذا لم يرد عليه المشركون مهرها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: احذروا أن تتعرضوا لشيء مما يوجب العقوبة عليكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ أي: قاصدات لمبايعتك على الإسلام ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ كائنًا ما كان، وهذا كان يوم فتح مكة، فإن نساء أهل مكة أتين رسول الله ﷺ يبايعنه، فأمره الله أن يأخذ عليهنّ أن لا يشركن ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ وهو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: لا يُلحقن بأزواجهنّ أولادًا ليسوا منهم، قال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، قال ابن عباس: كانت المرأة تلد جارية فتجعل مكانها غلامًا ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي: من كل أمر هو طاعة لله؛ كالنهي عن النوح، وتمزيق الثياب، وجزّ الشعر، وشقّ الجيب، وخمش الوجوه، والدعاء بالويل ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: اطلب من الله المغفرة لهنّ بعد هذه المبايعة لهنّ منك.

﴿١٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم جميع طوائف الكفر، وقيل: اليهود خاصة ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: إنهم لا يوقنون بالآخرة البتة بسبب كفرهم ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث.

سُورَةُ الصَّفِّ

﴿٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله أخبرنا بأحبّ الأعمال فنعمل بها، فلما أخبرهم أن أحبّ الأعمال إليه الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فنزلت هذه الآية.

﴿٣﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: إن الله تعالى يمقت ذلك مقتًا عظيمًا، وقيل: هي في قوم كانوا يأتون إلى النبي ﷺ فيقول أحدهم: قاتلت بسيفي، وضربت كذا وكذا، وهم لم يفعلوا ذلك.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ يبيّن الله تعالى لهم هنا أن القتال في سبيل الله هو أعلى ما يحبه الله من عباده، وفي الحديث: " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " ﴿صَفًّا﴾ أي: يصفون أنفسهم صفًا ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ملتزق بعضه ببعض حتى يصير كقطعة واحدة، وهذا من شدتهم وقوتهم في أمر الله، ليس فيهم عن ذلك تراخ، ولا ينفذهم العدو.

﴿٥﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ لما ذكر سبحانه أنه يحبّ المقاتلين في سبيله؛ بيّن أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحلّ العقاب بمن خالفهما، لتحذر أمة محمد ﷺ أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معهما ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو تؤذونني بالشتم والانتقاص ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ المعنى: كيف تؤذونني مع علمكم بأني رسول الله، والرسول يُحترم ويُعظم، ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علمًا يقينيًا ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يعني: أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاءً بما ارتكبوا.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: إني رسول الله إليكم بالإنجيل، لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفونني ﴿وَمُبَشِّرًۢا

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿ بَرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ وإذا كنت كذلك فلا مقتضي لتكذيبي، وأحمد اسم نبينا ﷺ، وتفسيره في الأصل: الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر ممن يحمد غيره. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل: المراد محمد ﷺ، أي: لما جاءهم بذلك قالوا ساحر.

﴿٧﴾ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك فحقه ألا يفتري على غيره الكذب، فكيف يفتريه على ربه؟ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والمذكورون من جملتهم.

﴿٨﴾ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي: إن حالهم في محاولتهم كبت الإسلام ومنع هدايته بأقوالهم الكاذبة كحال من يريد أن يطفئ النور العظيم بنفخ من فمه ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ بإظهار دين الإسلام في الآفاق، وإعلائه على غيره.

﴿٩﴾ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ ليجعله ظاهرًا منتصرًا على جميع الأديان، عاليًا عليها غالبًا لها ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ فإنه كائن لا محالة.

﴿١٠﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ جعل العمل بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، وهذه التجارة هي التي بيّنها بالآيتين التاليتين، فإن معناهما: أن الإيمان والجهاد ثمنهما من الله الجنة، وذلك بيعٌ رابحٌ.

﴿١٢﴾ ﴿ يَغْفِرْ ﴾ الله ﴿ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ذكر أولاً البضاعة التي يتاجرون بها، وبذكر هنا الثمن الذي وعدهم به أي: إن تؤمنوا يغفر لكم ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ أي: تسكنوا في جناتٍ إقامةً دائمةً لا تنقطع بموتٍ ولا بخروج منها ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: ذلك المذكور من المغفرة وإدخال الجنات؛ هو الفوز الذي لا فوز بعده، والظفر الذي لا ظفر يماثله.

﴿١٣﴾ ﴿ تُحِبُّونَهَا ﴾ أي: ولكم خصلة أخرى تعجبكم ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: هي نصر من الله لكم ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ يفتحه عليكم، يعني: النصر على قريش وفتح مكة، قال عطاء: يريد فتح فارس والروم ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المعنى: بشر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

﴿١٤﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ أي: داوموا على ما أنتم عليه من نصرة الدين ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فقالوا: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ والمعنى: من منكم يتولى نصرتي وإعانتي فيما يقرّب إلى الله، والحواريون: هم أنصار المسيح وخُلّص أصحابه، وأوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بعيسى ﴿ وَكَفَرَت ﴾ به ﴿ طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ أي: قوينا المحقين منهم على المبطلين ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ أي: عالين غالبين، عن قتادة في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه، قال رسول الله ﷺ للنفر الذين لقوه بالعقبة: "أخرجوا إليّ اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم، كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم، ثم قال ﷺ للنقباء: إنكم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل قومي، قالوا: نعم".

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(١) ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ القدوس: المنزّه عن كل نقص.

(٢) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: القرآن، مع كونه أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتعلم من أحد ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب وسيئ الأخلاق، وقيل: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة: السنّة، وقيل الكتاب: الخط بالقلم، والحكمة: الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في شرك وذهاب عن الحق.

(٣) ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم في ذلك الوقت، وسيلحقون بهم من بعد، أي: يزكيهم ويزكي آخرين منهم، وهم من جاء بعد الصحابة من مسلمي العرب وغيرهم إلى يوم القيامة، أخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فوضع يده على سلمان الفارسي وقال: "**والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لنالهُ رجال من هؤلاء**" ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: بليغ العزة والحكمة.

(٥) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ هذا المثل ضربه سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، أي: كُلفوا القيام بها والعمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الأسفار: جمع سِفْر وهو الكتاب الكبير، فالحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل؟ ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: هذا المشبه به وهو الحمار، الذي يشبهه اليهود بحق، هو أقبح ما يمثل به للمكذبين، أي: فلا تكونوا أيها المسلمون مثلهم، فقدم الله هذا تحذيرًا للذين تركوا رسول الله ﷺ على المنبر قائمًا يخطب وذهبوا إلى التجارة، وشبيه به كل من أعرض عن الخطبة وهو يسمعها، كما في الحديث، قال ﷺ: "**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارًا، والذي يقول له أنصت؛ ليس له جمعة**". لكن هذا حديث ضعيف.

(٦) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ المراد بالذين هادوا: هم الذين تهودوا، وذلك أن اليهود ادّعوا الفضيلة على الناس، وأنهم أولياء لله من دون الناس، وأبناء الله وأحباؤه، فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى الكرامة في زعمكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحبّ الخلاص من هذه الدار.

(٧) ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي، والتحريف والتبديل.

(٨) ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ أي: هو آت إليكم من الجهة التي أنتم فارّون إليها، وسيقابلكم وجهًا لوجه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال القبيحة، ويجازيكم عليها.

(٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ المراد به: الأذان؛ إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة، لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداءٌ سواه، أما الأذان الأول للجمعة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

فقد زاده عثمان ﷺ بمحضر الصحابة لما اتسعت المدينة ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: فاعملوا على المضيّ إلى ذكر الله؛ وهو الخطبة وصلاة الجمعة في المساجد الجامعة، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: اتركوا المعاملة به، ويلحق به سائر المعاملات، فإذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحلّ الشراء والبيع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السعي إلى ذكر الله، وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: خير من فعل البيع، وترك السعي، لما في الامتثال من الأجر والجزاء.

﴿١٠﴾ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: من رزقه الذي يتفضل به على عباده، من الأرباح في المعاملات والمكاسب ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لا تنسوا في أثناء بيعكم وشرائكم أن تذكروه ذكرًا كثيرًا بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي، وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار: كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به.

﴿١١﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ سبب نزول هذه الآية: أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة، فأقبلت قافلة من الشام والنبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً في المسجد، وفي رواية أخرى: وسبع نسوة معهن، ومعنى انفضوا إليها: تفرقوا خارجين إليها ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي: على المنبر ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني: من الجزاء العظيم؛ وهو الجنة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ اللذين ذهبتم إليهما، وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبيّ ﷺ لأجلها ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

﴿١﴾ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: إذا وصلوا إليك وحضروا مجلسك ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أكدوا شهادتهم، للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع إخلاصهم في اعتقادهم، ومعنى نشهد: نعلم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ تصديق من الله ﷻ لما تضمنه كلامهم من الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، ولئلا يفهم عود التكذيب الآتي إلى ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: في دعوى أن شهادتهم للنبي ﷺ بالرسالة هي من صميم القلب وإخلاص الاعتقاد، لا إلى منطوق كلامهم؛ وهو الشهادة بالرسالة فإنه حق.

﴿٢﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: جعلوا حلفهم الذي حلفوه لكم وقاية تقيهم منكم، وسترة يستترون بها من القتل والأسر ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في النبوة ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من النفاق والصدّ.

﴿٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ أي: نفاقًا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ في الباطن، وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدّوا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ختم عليها بسبب كفرهم، فلا يدخلها إيمان بعد ذلك ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه صلاحهم ورشادهم.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ هيئاتهم ومناصبهم، تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، وقد كان عبد الله بن

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

﴿٥﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: حركوها استهزاءً بذلك، ورغبة عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن رسول الله ﷺ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن إتيان رسول الله وسؤال الاستغفار منه، يرون أنفسهم أكبر من ذلك، ويستحقرونها لو فعلوا.

﴿٦﴾ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: ما داموا على النفاق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الكاملين في الخروج عن الطاعة، والانهماك في معاصي الله، ويدخل فيه هذا المنافقون دخولاً أوليًا.

﴿٧﴾ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ أي: حتى يتفرقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إنه هو الرزّاق لهؤلاء المهاجرين ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن خزائن الأرزاق بيد الله فظنوا أن الله لا يوسّع على المؤمنين.

﴿٨﴾ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ القائل هو عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين، وعنى بالأعزّ: نفسه ومن معه، وبالأذلّ: رسول الله ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع: رجوعهم من تلك الغزوة، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة، فقال عبد الله بن أبيّ: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فحلف عبد الله بن أُبيّ أنه لم يكن شيء من ذلك، قال زيد: فلامني قومي، وقالوا: ما أردت إلى هذا ؟ قال: فانطلقت فنمتُ كئيبًا حزينًا، قال: فأرسل إليّ نبي الله ﷺ فقال: **" إن الله أنزل عُذْرَك وصدَّقك، وأنزل هذه الآية "**

﴿٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يُحذِّر الله المؤمنين من أخلاق المنافقين الذي ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وهو فرائض الإسلام، وقيل: قراءة القرآن ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يلتهي بالدنيا عن الدين ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الكاملون في الخسران.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ أي: أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير، وقيل: المراد الزكاة المفروضة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن تنزل به أسبابه، أو يشاهد حضور علاماته ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: هلا أمهلتني وأخّرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ أي: فأتصدق بمالي ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ أي: إذا حضر أجلها وانقضى عمرها ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء منه، فهو مجازيكم بأعمالكم.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ينزهه عن كل سوء، ويصفه بكل كمال، جميع ما في السماوات والأرض ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ فله الملك التام، والحمد التام، فله الخلق والأمر، وله الحمد على ما خلق وأمر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ الله تعالى خلق الكافر وكفره فعل له وكسب، وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب، والكافر يكفر ويختار الكفر، والمؤمن يؤمن ويختار الإيمان، والكل بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازي كلا بما يستحق.

﴿٣﴾ ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: إنه سبحانه خلقكم في أكمل صورة وأحسن تقويم وأجمل شكل، ولا يخفى امتياز بني آدم في حسن الصورة وجمال القامة، وأن ذلك دلالة بيّنة لقوم يعقلون على قدرة الخالق وحكمته وعظمته، وكذا الصورة النفسية للإنسان وقدراته العقلية الهائلة دلالة أعظم من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلا بما يستحق.

﴿٤﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ما تخفيه الصدور، وما تنطوي عليه السرائر.

﴿٥﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ وهم كفار الأمم الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود [يقول تعالى: قد جاءكم الخبر عنهم في القرآن، وكيف دعتهم رسلهم إلى توحيد الله وعبادته وترك ما اتخذوهم أربابًا من دونه، وكيف آل أمر المكذبين إلى الهلاك، وآل أمر الرسل والمؤمنين بهم إلى النجاة] ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الوبال: الثقل والشدة، وهو ما أصيبوا به من عذاب الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو عذاب النار.

﴿٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب في الدارين ﴿بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بسبب أنها كانت تأتيهم الرسل المرسلة إليهم بالمعجزات الظاهرة ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: قال كل قوم منهم هذا لرسولهم منكرين أن يكون الرسول من جنس البشر، متعجبين من ذلك ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ أي: كفروا بالرسل وبما جاؤوا به، وأعرضوا عنهم، ولم يتدبروا ما جاؤوا به ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم وعبادتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غير محتاج إلى العالم ولا لعبادتهم له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال أو الحال.

﴿٧﴾ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يخبرهم بأن الله سيحييهم بعد الموت، وأن يحلف لهم على ذلك، أي: والله لتخرجن من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لتُخْبَرُنّ بذلك، إقامة للحجة عليكم، ثم تجزون به ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعث والجزاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٨﴾ ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ وهو القرآن، لأنه نور يهتدي به من ظلمة الضلال.

﴿٩﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ أي: ليوم القيامة، فإنه يجمع فيه أهل المحشر للجزاء، ويجمع فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأمته، وبين كل مظلوم وظالمه، وبين الأولين والآخرين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن فيه أهل المحشر بعضهم بعضًا، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشر، والجيد بالرديء، والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك، يقال: غبَنتُ فلانًا إذا بايعتُهُ أو شاريتهُ فكان النقص عليه، فالمغبون من غُبِنَ أهله ومنازله في الجنة ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي: من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(١١) ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بقضائه وقدره، قيل: وسبب نزولها أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقًا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ أي: من يصدّق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدّره الله عليه، يهد قلبه عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه، ويسترجع، وإذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

(١٢) ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي: اشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي: إن أعرضتم عن الطاعة فإثمكم على أنفسكم، وليس على الرسول من بأس ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ليس عليه غير ذلك وقد فعل.

(١٤) ﴿ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ أي: أنهم يشغلونكم عن الخير، وسبب النزول أن رجالاً من مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم، وقال مجاهد: والله ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن اتخذوا لهم الحرام فأعطوهم إياه ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ أي: احذروا الأزواج والأولاد أن تؤثروا حبكم لهم وشفقتكم عليهم على طاعة الله، ولا يحملكم ما ترغبونه لهم من الخير على أن تكسبوا لهم رزقًا بمعصية الله ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ ﴾ أي: إن تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، وتتركوا التثريب عليها وتستروها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لكم ولهم، قيل: كان الرجل الذي ثبّطه أزواجه وأولاده عن الهجرة، إذا رأى الناس سبقوه إليها وفقهوا في الدين، همّ أن يعاقب أزواجه أولاده.

(١٥) ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حق الله ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده.

(١٦) ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ أي: ما أطقتم وبلغ إليه جهدكم ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ أي: اسمعوا وأطيعوا أوامر الله ورسوله ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ أي: أنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا تبخلوا بها، وقدموا خيرًا لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: من وقاه الله من داء البخل فأنفق في سبيل الله وأبواب الخير، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

(١٧) ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أي: تصرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس ﴿يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾ فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي: يضم لكم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة.